الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٣ المستشرقون في اوائل القرن العشرين

كانت الدروس الشرقية في غرَّة القرن العشرين راقيةً في سائر انحاء اوربَّة والعالم. وقتئذٍ في سلام لم تكدّر صفاءهُ معامع الحروب. فكان للغتنا العربيَّة مقام رفيع في الجامعات الاوربية يتنافس اساتذتها في نشر تعليمها واستخراج مئات من دفائن كنوزها. وبانضمام الى ذلك الغيرات التي كانت تُعقد من وقت الى آخر في مواسم البلاد ورحلات السيَّاح الى بلاد الشرق القاصية: الى اليمن والهند ومراكش فيعثرون على تآليف عزيزة الوجود كانوا يعدُّونها ضائعة مفقودة فينشرونها بالطبع فيتَّسع بنشرها نطاق معارفنا عن آثار العرب

وكانت مجلَّات المستشرقين حافلة بتلك الآثار النفيسة لاسيما المجلَّات الاسيويَّة الفرنسويَّة والانكليزيَّة والالمانيَّة والنمساويَّة والايطاليَّة والاميركانيَّة فلم تترك باباً إلَّا قرعتهُ ولا بحثاً إلَّا خاضت فيهِ لا يهدأ لها بالٌ حتى تبيِّن غثَّهُ من سمينهِ وها نحن نذكر بعضاً من الذين خدموا العربيَّة في ذلك العهد فأسفت البلاد على فقدهم في اوائل القرن العشرين

(الفرنسويون) فقدَ مكتب اللغات الشرقيَّة الحيَّة في هذه الحقبة الاولى من القرن العشرين رجلاً هماماً ترأس عدَّة سنين على تنظيمهِ وترتيب دروسهِ وترقيتهِ السيِّد ﴿ادريان بربيه دي ميناره﴾ (A. Barbier de Meynard) ولد في ٦ شباط ١٨٢٦ على المركب الذي كان يقلّ والدتهُ من الاستانة الى مرسيلية وتخصص منذ حداثة سنهِ

بدرس اللغات الشرقية وساعدتهُ على اتقانها رحلاتهُ لخدمة قنصليات وطنهِ في القدس وفي طهران والاستانة فتعلَّم اللغات الفارسيَّة والتركيَّة والعربيَّة وتمكن من دقائقها حتى تولَّى تعليمها في مكاتب فرنسة العليا. فانتُدب الى رئاسة المجلة الاسيويَّة الباريسية ولهُ فيها فصول عديدة ممتعة تشهد لهُ بسعة معارفهِ. وقد حضرنا دروسهُ في باريس سنة ١٨٩٤ فكان لا يزال يطرئ محامد الشرق وآلهِ. ولهُ منشورات عديدة في التركية والفارسية. ومما خدم بهِ اللغة العربية نشرهُ لمروج الذهب للمسعودي في تسعة مجلدات مع ترجمتهِ الى الفرنسويَّة ونشر من معجم البلدان لياقوت ما يختصُّ ببلاد فارس. وساعد في نشر التآليف العربية المنوطة بالصليبيين فنقل الى الفرنسويَّة كتاب الروضتين لمجيد الدين الحنبلي في المجلَّد الرابع من مجموعها العربي. اما مقالاتهُ عن العرب والآداب العربية فتعدَّدة كمقالتهِ عن السيد الحميري والالقاب عند العرب الخ. كانت وفاتهُ في باريس في اواسط آذار ١٩٠٨

وفي تلك السنة عينها في ١٣ نيسان ١٩٠٨ فقد المكتب الذكور احد اساتذتهِ المعدودين هرتفيك ديرنبورغ (Hartwig Dérenbourg) وهو ابن جوزف ديرنبورغ الذي مرَّ ذكرهُ بين ادباء القرن التاسع عشر. اخذ عن ابيهِ ميلهُ الى درس الشرقيَّات فجاراهُ في نشاطهِ فانتُدب الى تدريس اللغة العربية في مكتب اللغات الشرقيَّة الحيَّة وفي مكتب فرنسا الاعلى ونشر عدَّة مطبوعات مفيدة اخصُّها كتاب سيبويه وديوان النابغة الذبياني مع ترجمتهِ الافرنسيَّة وكتاب الانشاء والاعتبار لأسامة بن منقذ والنكت العصريَّة لعمارة اليمني ونقلها الى الافرنسية وجدَّد طبع الفخري الآداب السلطانيَّة لابن الطقطقي. ومن آثارهِ وصف جديد لقسم من مخطوطات مكتبة الاسكوريال في مدريد. كان مولدهُ في ١٧ حزيران ١٨٤٤ في باريس وفيها توفي

وسبقهُ بالوفاة احد ابناء دينهِ الموسوي جول اوپرت (Jules Oppert) ولد في همبورغ في ٩ تموز ١٨٢٥ ثم عدل الى الجنسية الفرنسويَّة وتوفي في باريس في ٢١ آب ١٩٠٥. كان احد كبار العلماء باللغات السامية كالعبرانية والعربيَّة. وانما امتاز خصوصاً بدرس اللغة المسماريَّة وكان احد الاولين الذين ساعدوا على كشف الغازها. بعد ان قضى اربع سنوات في العراق يدرس اخباءها. ولما عاد الى فرنسة نشر نتيجة ابحاثهِ في كتابهِ المعنون «رحلة علميَّة الى بلاد ما بين النهرين» ولم يزل منذ ذاك الحين يتحف العلماء

بمنشورات متتابعة في تاريخ بابل واشور وفي اللغات السامية وخواصها

وفي هذه السنين الاولى من القرن العشرين رُزئت رسالتنا السورية بوفاة ثلاثة من رهبانها الفرنسويين الذين ادّوا للآداب العربية خدماً مشكورة استحقُّوا بها ان يُنظموا في عداد المحسنين الى الوطن. اوّلهم الاب ﴿يوحنا بلو﴾ (J.-B. Belot) المولود في غرّة آذار من السنة ١٨٢٢ في لوكس من اعمال بورغندية والمتوفّى في بيروت في ١٤ آب ١٩٠٤. باشر درس اللغة العربية منذ اوائل سني رهبانيّته ثمّ قدم الى بيروت سنة ١٨٦٦ ولم يزل ينشط في إحراز فرائد لغتنا حتى امكنهُ ان يتولى ادارة مطبعتنا ويهتمّ بنشر عدّة تآليف مفيدة. منها دينيّة كالقلادة الدرّيّة ومروج الاخيار والغصن النضير ومنها علميّة اصابت لدى المستشرقين وارباب المدارس في الشرق والغرب حظوةً واسعة كالفرائد الدرّيّة في اللغتين العربية والفرنسويّة وكمعجميّه الفرنسويّ العربيّ الكبير والصغير وكفراماطيقه الفرنسويّ العربي

وتوفي بعدهُ باسبوعين في ٣١ آب ١٩٠٤ يسوعي آخر ذو حرص كبير على خدمة العلم ونشر الآداب الشرقية الاب فرنكنور دي كوبيه ﴿(F. de Coppier)﴾. أرسل اوّلاً الى الجزائر ثم الى بيروت فقضى فيها عشرين سنة بنشر متواصل. فألف عدّة كتب ساعدهُ في تعريبها جناب الاديب خليل البدوي والمرحوم رشيد الشرتوني. منها كتاب التوفيق بين العلم وسفر التكوين وكتاب كشف المكتوم في تاريخ اخري سلاطين الروم وكتراجم بعض القديسين اليسوعيين: ريحانة الاذهان ونفح الزند ومظهر الصلاح وكتخبة النخب في ترجمة القديس يوحنا فم الذهب ونقل الى الفرنسويّة ديوان الخنساء وكتب فصلاً كبيراً عن شواعر العرب وترجم الى الفرنسويّة ايضاً كتاب القرآن (لم يطبع) ونشر في مجلّة الكنيسة الكاثوليكية فصولاً عديدة. كان مولدهُ في فرنسة سنة ١٨٣٦

والمستشرق اليسوعي الثالث المتوفّى في هذه الحقبة هو الاب ﴿اوغستين رود﴾ (Aug. Rodet) المولود في فرنسة في ٣١ ت ١ ١٨٢٨ درس العربية في الجزائر ثم أرسل الى سورية السنة ١٨٦٨ فترأس على مدرسة غزير قبل نقلها الى بيروت ١٨٧٠—١٨٧٥. ومن خدمهِ المعتبرة للوطن ترجمتهُ للاسفار الكريمة من العبرانيّة واليونانيّة الى العربية بساعدهُ في تنقيح تعريبها المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي. ونشر للمدارس مع

الاب يوحنا بلو مجموعة نخب الملح في خمسة اجزاء. توفي في ١٢ كانون الاول سنة ١٩٠٦

(الوطانيون والمستعربون) مات في اوكسفرد في غرة القرن العشرين ٢٨ ت١ ١٩٠٠ العلامة الالماني الكبير ﴿وليم ماكس مولر﴾ (W. Max Müller) كان معظم شغله باللغات الهندية والمقابلة بين اصول اللغات. وقد نقل الى الانكليزية كتاب القرآن مع كتب الشرق الدينية . كان والده في ديساو (Dessau) سنة ١٨٢٣ في ٦ كانون الاول

وفي ١٨ آب من السنة ١٩٠٣ انتقل الى جوار ربه في برلين الاستاذ الشهير ﴿فردريك دياتاريشي﴾ (Fr. H. Dieterici) كان مولده في مدينة برلين في ٦ تموز ١٨٢١ وساح في شبابه في جهات الشرق ثم تعين في وطنه كاستاذ العربية سنة ١٨٥٠ فثبت في تعليمه عدة سنين. وله تآليف عربية متعددة منها معجم عربي الماني وشرح الفية ابن مالك وصنف كتاباً في الشعر العربي ونشر نخباً من يتيمة الدهر للثعالبي ومن ديوان المتنبي. ودرس خصوصاً تآليف العرب الفلسفية كالفارابي واخوان الصفا فنشر منها بعضاً ونقل بعضاً الى الالمانية

وفي برلين توفي الرحالة المستشرق ﴿وتشتين﴾ (Joh. Gottfr. Wetzstein) ولد في ١٩ شباط ١٨١٥ وتوفي في ١٧ك٢ ١٩٠٥ تعين قنصلاً لدولته في دمشق وله سياحة في جهات حوران وجبل الدروز سنة ١٨٦٠ ونشر بعض ما وجده فيها من الكتابات

وفي كانون الثاني من السنة عينها توفي ايضاً ﴿فرنسيس جوزف شتنغاس﴾ (F. J. Steingass) كان ضليعاً باللغتين الفارسية والعربية. فمن منشوراته قاموس عربي انكليزي ونقل قسماً من مقامات الحريري الى الانكليزية وكتب عن تاريخ الخطوط والكتابات السامية. ولد في فرنكفورت في المانية وتوفي في انكلترة

وفي العام التالي في ٢٥ك٢ ١٩٠٦ فقدت السنة احد علمائها المستشرقين الكاهن ﴿غوستاف بيكل﴾ (G. W. Bickell) علّم زمناً طويلاً اللغات الشرقية في كلية إنسبروك وشيئة وبرز خصوصاً في درس اللغة السريانية فنشر فيها كتباً جليلة كديوان اسحاق النينوي والترجمة الكلدانية الكليلة ودمنة وهي التي سبقت ترجمة عبدالله

ابن المقفع العربية وقابل بين الترجمتين . كان مولده في ٧ تموز ١٨٣٨ وارتدَّ عن البروتستانيَّة الى الكثلكة

وممن ذاع اسمهم في هذه الحقبة ثم حلَّ أجلهم الدكتور موريتس شتينشنيدر (Moritz Steinschneider) المولود في ٣٠ آذار ١٨١٦ والمتوفَّى في برلين في ٢٤ كـ٢ ١٩٠٧ . قد نشر قوائم غاية في الافادة عن الكتب العربية المنقولة الى اللاتينيَّة وعن التآليف اليونانيَّة التي نقلها العرب الى لغتهم . وله جدول واسع للتآليف التي كتبها المسلمون والنصارى واليهود في صحَّة اديانهم وفي تفنيد اديان سواهم . وكذلك سرد قائمة جميلة لما نشره العرب في الرياضيَّات والعلوم الفلكيَّة وله تآليف آخر في الآداب العربية وانتشارها بين اليهود طبعهُ سنة ١٩٠٢ بالالمانيَّة

وزاد عليهم شهرةً ادوار غلازر (E. Glaser) الذي ولد في بوهيمية في ١٥ آذار ١٨٥٥ وتوفي في مونيخ في ٧ أيار ١٩٠٨ . رحل الى بلاد اليمن ووصف كثيراً من احوالها وآثارها ونشر كتابات حميريَّة قديمة او تكلَّم على اخبار ملوكها القدماء واخبار ملوك الحبش الذين استولوا على اليمن مدَّة من الزمان واستشهاد اهلها نصارى في عهد ذي نوَّاس الملك اليهودي

(الانكليز وهم البيكبوده) من اعيان الانكليز الذين قضوا أجلهم في العشر الاوَّل من القرن العشرين العلَّامة وليم ميور (W. Muir) احد المحقِّقين المدقِّقين في تواريخ المسلمين والعرب . ألَّف سيرة مطوَّلة لنبيِّ المسلمين في مجلَّدين سنة ١٨٥٨ . وكتب في القرآن وتأليفه وفي الخلافة الاسلاميَّة واطوارها المختلفة . وله مجادلات دينيَّة في الاسلام ومقالات في شعراء العرب ونشر تاريخ دولة المماليك في مصر . توفي في لندن في ١١ تموز ١٩٠٥ وعمرهُ ٨٦ سنة

واشتهر في انكلترَّة هنري كسّل كاي (H. Cassels Kay) ولد في أنفرس في بلجيكة ودخل انكلترَّة فاتَّخذته جريدة التَّيمس كراسل لها في مصر فنشر كتابات عاديَّة وجدها في مصر ودمشق . . ثم استوطن لندن وعلَّم فيها وطبع تاريخ بني عقيل ثم تاريخ عمارة اليمني ونقلهُ الى الانكليزيَّة وذيَّلهُ بالحواشي (١٨٩٢) توفي في ٥ حزيران ١٩٠٣ وكان مولده في ٢١ نيسان ١٨٢٧

المستشرقون في (اسوج وهولندة وروسيا) . عُنيت كلية اوبسالا في اسوج بتعليم اللغات الشرقية فكان يعلّم فيها العربية الاستاذ هرمان المكويست (Herm. Nap. Almqvist) نشر قسماً من رحلة ابن بطوطة وكتب في خواص الضمائر في اللغات السامية

ولم تزل هولندة رافعة منار التعليم للغات الشرقية وخصوصاً العربية جاريةً على آثار كبار علمائها الذين شرّفوا وطنهم من هذا القبيل منذ القرن السابع عشر . ومِمَّن فقدتهُ الآداب العربيّة في هذه الحقبة الاولى من القرن العشرين احد علماء ليدن الذي مات في ريعان شبابه وهو الاديب ڤان ڤلوتن (C. Van Vlouten) . نشر كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ومعظم رسائل الجاحظ الادبيّة توفي سنة ١٩٠٧ منتحراً

اما روسيا فكان ناشر لواء علومها الشرقيّة العلّامة البارون ڤيكتور فون روزن المولود سنة ١٨٤٩ في مدينة رول من اعمال استلند وتوفي في بطرسبورج في ٢٣ ايار ١٩٠٨ (راجع ترجمتهُ في الشرق ١١ [١٩٠٨] : ١٧١—١٧٣) درس على العلّامة المستشرق فلّيشر في ليبسك ثمَّ عُهد اليهِ تعليم اللغة العربية في كلية بطرسبورج فاضحى قطب علومها الشرقية ونال ارفع الامتيازات الشرفيّة لسموّ فضلهِ . والعربية مَدينةٌ لهُ بما نشره من اثارها منها منتخبات مدرسيّة شتى مع ترجمتها الى الروسية . وطبع قسماً من تاريخ يحيى الانطاكي الذي عُنينا بنشرهِ ملحقاً بتاريخ سعيد بن بطريق . ولهُ وصف مخطوطات مكاتب روسيّة الشرقيّة وساعد على طبع تاريخ ابي جعفر الطبري في ليدن . وكان ذا لطف كبير يسعى الى خدمة من التجأ اليهِ في الابحاث الشرقيّة وعليهِ تخرّج كثيرون من الروسيين فاشتهروا في وطنهم وخدموا الآداب العربيّة خدماً مشكورة

(الهُ بقيّة)